



كيف أبدأ سنةً جديدةً؟

الأب إبراهيم سعد

٢٠١٥/١٢/١٥

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

لا ترتبط السنة الجديدة بالروتينية، ولكن تُحدّد أنت بدايتها عندما تُقرّر البدء بأمرٍ جديدٍ. لذلك فالسنة ليست ٣٦٥ يومًا، بل هي قطعةٌ من عمرك، ومن الممكن أن تكون كبيرة أو صغيرة، لكن في كلِّ مرّة تتعهد فيها لنفسك، تكون بداية سنة جديدة.

تبدأ حياة الإنسان بصرخةٍ مدوّيةٍ عندما يولد وتنتهي بصمتٍ مطلقٍ وقت الموت؛ وبين الصرخة وبين الصمت، تمتدّ سنوات حياتنا. وعلى الإنسان أن يُكرّس وقتًا من الصمت ليفكّر ويحلّل وليأخذ موقفًا، وليسأل: "كيف أبدأ سنةً جديدةً؟". لا أحد يستطيع أن يُجيب عن هذا السؤال إلا صاحبه. ولا يقدر الإنسان أن يقوم بتعهدٍ في خطوةٍ جديدةٍ، إلا إذا سبق هذا الأمر تحديد لبعض النقاط، وذلك من خلال جلسة هادئةٍ للتعمّل والحكمة في ساعة صمتٍ وتأمّلٍ بأفكارٍ عديدةٍ للتفحص والتفتيش في النفس للخروج بخطّةٍ جديدةٍ. وعليك في البدء فحص السقطات، ومعرفة دوافعها، وإمكانية التخلص منها وكيفية إنقاذها.

أكثر التوقّعات والخطايا أسبابها الحقيقية غير الأسباب التي تظنّون بها، ودوافعها الحقيقية مختلفة، وكيفية التخلص منها تختلف عن تخطيطكم، لذلك يبقى الإنسان كما هو، لأنّه لا يستطيع أن يُصيب الهدف فيخطئ. ثمّ عليك بفحص الشخصية في صفاتك. وأكثر الصفات التي تُخيف، هي الحساسية الزائدة في موضوع الكرامة، عندها تصبح سريع العطب، فمن الملاحظ أنّ من يمتلك الحساسية على كرامته هو إنسانٌ يغضب بسرعة، ويقوم بردّة فعلٍ سريعة. فالغضب لا يولد إلا الأمر السيئ، من هنا وجوب التحلي بالحكمة والتعمّل، فعندها تُصبح عاقلاً ومدركاً للأسباب، خصوصاً إذا حلّلت ورأيت المشهد حيث كنت في قمة الغضب، وقمتَ ببدل الأدوار، عندها ستدرك أنّه عليك القيام بالمخاطرة في التغيير، رغم أن الانسان يحبّ الإستكانة. فكلّ جديد أو تجديد يُخيف، وتغيير النفس هو مخاطرة، لكن لا بدّ من خوضها الى الأحسن، لأنّ ذلك يساعدك على التحلي بمفهوم الرضا، وإحساس رضا الله عليك ورضاك على نفسك، مما يخلق سلاماً ما بعده سلام. فالهدوء في الطبع إذاً، يبدأ من محاسبة النفس بالحبّ، ولا شيء يمكن أن يزعه. جلستك عليها أن تكون جلسة عادلة مع نفسك، كقاضٍ حكيمٍ وبنّاء، لا يعطي حكماً ليوصل النفس إلى السجن، بل همّة الوحيد إعطاء التوجيه للنفس، لكي لا تقع في الخطأ عينه. ويعكس هذا توجيه كلِّ طاقاتك السلبية نحو الأفضل، إذ على الإنسان أن يُجنّب نفسه العثرات. يقول الكتاب في سفر الرؤيا من الإصحاح الثاني: "أذكر من أين سقطت وُثب"، أي عد إلى النقطة والأسباب

والدوافع التي جعلتك تقع! فمحاسبة النفس أساسية، ولكن تتصّنها مخاطرة كبيرة، فاحترسوا من الوقوع في شباك شيطان اليأس. وعليكم أن تحاسبوا أنفسكم إيجابياً وليس سلبياً، لأنكم عندها ستقعون في ذلك الشباك أي اليأس. ففي هذه الدنيا شيطانان: "الجهل واليأس"، فكن حكيمًا في محاسبة نفسك من خلال إعطاء كل طاقيتك لمراحم الله وحبّه ومعالجتك الإيجابية لكل الأمور.

إذا كنتم تحاسبون أنفسكم متناسين محبة الله ورحمته، فأنتم بالطبع يائسين، أو ترفضون المبادرة لعيش الحياة الجديدة في قمة جدّتها، ويلزمكم في سنتكم الجديدة اختبار المعرفة الحقيقية للنفس وصدق.

فما هي أسس المعرفة الحقيقية للنفس؟ أول أساس لتكتشف مكان نفسك هو عدم الإلتهاه بتحليل الآخرين. لا تُحاسب، لا تلم، لا تظنّ ولا تحكم. ركّز على نفسك. فكلّ من ينشغل بخطايا الناس، لا يعدّ يمكنه أن يدرك خطاياهم، بل يقضي وقته بإدانة الآخرين، ومن يتعوّد على ذلك فلن يستطيع الإهتمام بنفسه. عليكم تغيير نمط اعترافكم، فمن يحاسب نفسه، أو يرغب بذلك، هو المستعدّ الأوّل لتغيير نفسه. فالمصالحة والسلام مع الناس هو تحصيلٌ لنفس الإنسان. "طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يدعون"، (متى ٩:٥)، فتبرير نفسك هو الذي يمنعك من المسالمة مع الناس، وهذا يؤدّي إلى العناد، وهو الشرارة التي تشعل الخصومات بين البشر.

ثانيًا: عليك أن تنسى ما هو وراءك وتمتدّ إلى ما هو أمامك كما ذكر بولس الرسول. لأنّ من يهتمّ بما هو خلفه يتذكّره دائمًا، ومن يركّز على ما هو أمامه في المستقبل يحلم به كثيرًا. لذا علينا أن نركّز على النسيان الذي هو محو أمر ما من الذاكرة، وكما قال الله في عهده مع الإنسان الجديد: "سأغفر خطاياهم ولن أذكرها من بعد". لا تقفوا أمام الله متذكّرين خطاياكم، فهو قد نسيها. وتؤدّي محاسبة النفس من دون الرجاء إلى اليأس. لذا تذكّروا قول بولس الرسول في رسالة فيلبيّ من الإصحاح الرابع: "أستطيع كلّ شيء بالمسيح الذي يقوّيني" (في ٤:١٣)، هكذا تحصلون على توقّ وشوقٍ إلى أن يصير لكم قلبٌ جديدٌ ووعيٌ جديد. تذكّروا عندما تقرأون أنفسكم، ذاك الذي التقى بالله وهو إبراهيم، كما فعلت سراي عندما فتحت عهدًا جديدًا، فأصبحت تدعى سارة، شاوول/بولس، سمعان/بطرس، لاوي/متّى... إذا يقوم الاسم بالحضور، فعندما يتمّ تغيير الاسم تتبدّل نوعيّة حضور الإنسان، وهدفه ووجوده. وهنا يفترض أن لا نخلط الأمور القديمة بالجديدة، فحنين الإنسان وتوقه إلى المستقبل، يجعل من حاضره مرتبًا.

تذكّر أنّ حاضرك ليس سوى لحظة، وعندما تمرّ هذه اللحظة تصبح فورًا من الماضي. إذا أنت تعيش حاضرك، وهو هديّة لك، فلا تجعل رقعةً جديدةً مع رقعة قديمة. كلّ هذا التغيير الذي نحلم به هو خوف، لأنّ الحلم أضحى أمرًا لا يمكنك تحقيقه. أمّا عند المؤمن فالحلم هو واقعٌ لم يحصل بعد، والحلم الذي ليس واقعًا، ولا يحصل أبدًا يدعى خيالًا ووهماً. المؤمن إذا حلم، تحقّق حلمه، بشرط دخول محبة الله إلى قلبه، والدليل على فهمك لمحبة الله هو الفرح وليس المرح.

انتبهوا من مزج محبة الله بمحبة العالم أي العالمية، فالأولى تأتيك والثانية تتخلّى عنك. أنت في صراعٍ بين نظرتك لمحبة الله التي تأتيك، ولا تطلب منك المقابل، وبين محبة العالم التي تضحّي من أجلها ولا تأتيك بمنفعة، وهذه ثنائية خطيرة. فلكي تشعر بالفرح الذي حصلت عليه من محبة الله لك، عليك أن تتجنّب الغرق بالتفاصيل، لذلك يقولون إنّ الشيطان يسكن في التفاصيل، فهي تؤدّي بكم إلى الهاوية، خصوصًا تلك المرتبطة بحساسيتك الزائدة لكرامتك. تنازل عن كبرياتك المحتبى ولا تريد الاعتراف به. وخذ القرار عندها ستفرح.

لكي تتعلموا الفرح هناك طريقتان: الأولى أن تعمل عملاً يفرح الآخر، والثانية هي أن تزرع السلام مع من تتخاصم معه، أو مع من يتخاصم معك. حاولوا دومًا مسامحة الخصم، لأنَّ سبب المشكلة هو من الطرفين. العالم مُصاب بالغدر، فسوء من يحيط بك يجعلك تغيّر سلوكك، وتبرز سقوطك بسببهم. احذروا أن تتغيروا بسبب عدم تغيّر الآخرين، وكونوا حكماء وعادلين في وقت الابتعاد ومدته ومدى تأثيره على الآخر. يقول ابن سينا: "هناك مريضٌ لا مرض"، لا تعالجوا الأمور إداً وكأَنَّها قاعدة عامة.

نتمنى لكم عامًا جديدًا، لا يكون كالأعوام التي مضت، بل يكون عامًا جديدًا في فراركم وسلوككم الجديدين، مُبتعدين عن الكبرياء، مُتجهين نحو التواضع. كلُّ هذا لا يتحقّق إلاّ بارتمائكم تحت أقدام السيّد المسيح، حتّى يقول لكم كما قال للمرأة الخاطئة التي ارتمت على أقدامه: "أحبّبت كثيرًا لأنّه غفّر لها كثيرًا" (لو ٧:٤٧). الحبّ إداً هو جواب للمغفرة. والمبادرة هي من غفران الله: "افرحوا وابتهجوا، فإن الله غفر خطاياكم ولن يذكرها من بعد".

ملاحظة: دُونت المحاضرة من قبلنا بتصرّف.